مركزيـّـة المكــان الحج والتَّشــوق لقبـر الرَّســول صلَّــى الله عليــه وسلَّم

Place centrality Hadj and the excitement to the Messenger's grave

حكيمة بوشلالق
أستاذ محاضر أ
جامعة المسيلة/ الجزائر
Hakima.bouchelaleg@univ-msila.dz

سعاد عريوة
أستاذ محاضر
جامعة المسيلة/الجزائر
Souad.arioua@univ-msila.dz

الملخص:

يؤدي المكان في النص الشعري دورا كبيرا في التشكيل الموضوعي لكل قصيدة شعرية وخاصة في نص المديح النبوي الذي لا تخلو كل مدحة نبوية من ذكر له وخاصة الأماكن المقدسة كالحج ، ومكة المكرمة، وطيبة، والمدينة المنورة وكذا قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي تطير له القلوب والعقول والنفوس شوقا لرؤيته؛ و كل عمل فني يحتاج إلى مكان تقع فيه الأحداث لكي تنمو وتتطور.

والأماكن تختلف في صفاتها وتشكيلاتها فهي ليست متشابهة، وهذا الاختلاف والتباين يعطي لكل مكان خصوصيته التي تميزه عن غيره، فإذا كانت الأماكن في الحياة الواقعية التي نعيشها مختلفة من حيث المستويات فالشيء نفسه بالنسبة للمكان في الأعمال الفنية، لهذا فالشعراء المتصوفة والمادحين للرسول صلى الله عليه وسلم يوظفونه بكثرة بل أصبح ميزة تتسم بها قصائدهم النبوية.

الكلمات المفتاحية: المركزيَّة، المكان، الأماكن المقدَّسة، الحجاز، مكَّة المكرمة، المدينة المنورة، قبر الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم.

Abstract :

Place, in a poetic text, plays a great role in the topical formation to each poem, especially in the text of prophetic praise in which the sacred places are mentioned like Hadj, Makkah, Taibah and Madinah, ass well the Messenger's grave to which hearts, minds and souls are eager to visit it. Each artistic work needs a place in which events occur, grow and develop.

Places, in terms of their characteristics and forms, are different, so they're not similar. This difference gives each place its specificity, which makes it different than other places. If places, in real life, are different in terms of levels, the same thing is for a place in the artistic works. Therefore, mystical poets and all who praise the Messenger, Allah's peace and prayers be upon him, use it heavily, and it rather becomes a characteristic of Prophetic poems.

Key words: *centrality, place, sacred places, Hijaz, Makkah, Madinah, The Messenger's grave.*

1. مقدمة:

إنَّ المكان المقصود أو الهدف كان على الدوام هاجس الرحالة والمسافر والشاعر، إذ هو محدد في مخيلته سلفا ولزمن طويل يختمر في الذاكرة، أي أنَّ يحين وقت شد الرحال إليه، فالمكان المستهدف، سواءً كان معلنا أم مصرحا به، أم مسكوتا عنه، لا يختار اعتباطيا، بل لغايات كثيرة ومتعددة، ولمآرب لا تحصى، فقد تكون من أجل العلم أو التجارة أو السياحة أو غير ذلك.

2. الحج والتشوق لزيارة مكة المكرمة

إنَّ الحج وزيارة الأماكن المقدسة -عند الإنسان المسلم- تبقى من أسمى الغايات وأمنية عزيزة المطلب، وانطلاقا من هذا فإن أمكنة الحج هي الأكثر مزارا، والأشد شوقا لرؤيتها، وملامسة حناياها، إذ أن "الحج تجربة إنسانية روحية، عكست ذلك الارتباط الروحي العميق بأرض الحرمين الشريفين، مهوى قلوب الملايين وأبدانهم، هو ارتباط يتسم في مواسم الحج بشيء من الوجد المحتدم في النفوس، حين يشرع المسلم، يشاهد مراكب الحجاج تشد الرحال، فتثور حناياها بطرب

روحي تتراجع معه كل متاعب النفس والبدن، ويرى العاجز ماديا أو بدنيا عن الحج ذلك فيصبح عرضة لمختلف المشاعر تضطرب بها نفسه، فتضيق بواقع، وتطمح للتطهر منها في الحرمين الشريفين"[1].

والمتأمل في أحوال هذا الخلق، يلحظ بعين بصيرته وبصره ربوبية الله تعالى و وحدانيته، وكمال حكمته وعلمه وقدرته، وأنه الله الذي لا الله إلا هو، فلا شريك له يخلق كخلقه، ويختار كاختياره ويدبر كتدبيره، فهذا الاختيار والتدبير، والتخصيص المشهود أثره في هذا الكون الواسع من أعظم آيات ربوبيته، وأكبر شواهد وحدانيته، وصفات كماله وصدق رسله، فمن ذلك اختياره -سبحانه وتعالى- من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها، وهي البلد الحرام والمدينة المنورة التي تنورت بنور النبي صلى الله عليه وسلم، والله قد اختارها لأجل نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، واصطفى البلد الحرام بأن جعله مناسك لعباده، واوجب الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين[2].

ومن فضائل ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم حول زيارة قبره أمرًا الناس بزيارته قائلا: "من زار قبري وجبت له شفاعتي" لأن زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لها فضل كبير، ولأن الزائر أفضل من المزور[3].

كما كره مالك أن يقال: طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى اله عليه وسلم لاستعمال الناس بينهم ذلك بعضهم لبعض، وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع سائر الناس بهذا اللفظ، وأن يخص بأن يقال: سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي إلى قبره، حيث يقصد بالوجوب هاهنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد، ولو قيل: زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[4].

ومما لم يزل من شأن من حج المزور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره، ومجلسه،

وملامس يديه، ومواطئ قدميه، والعمود الذي كان يستند إليه، وينزل جبريل بالوحي فيه عليه، وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين[5].

ويذكر القاضي عياض أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾[6]، ثم قال صلى الله عليك يا محمد، من يقولها سبعين مرة ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة[7].

وشد الرحل لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم تستلزم سفرا، وتستلزم رحيلا، إذ إنها عبارة عن انتقال من الزائر للمزور وذلك الانتقال يقتضي سفرا ويتطلب مجيئا، ولا يتصور انتقال بدون سفر، ولا يتحقق مجيء بغيره، كما لا يمكن أن تكون هجرة بدون انتقال، ولا تتأتى رحلة بدون ارتحال، وهي خير ما يتقرب به المحبون، ويسعى له المخلصون الصادقون؛ لأنها من أعظم ما يتقرب به الإنسان إلى الله ورسوله، فكل ما يترتب عليها قربة، وجميع ما تستدعيه مستلزماتها قربة كذلك[8]، لقول تعالى: ﴿**يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[9]، وقوله أيضا: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾[10].

وقد صح خروجه صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالبقيع، وأحد تقديرًا ووفاءً منه لأصحابه الكرام، ومن أوفى منه صلى الله عليه وسلم، فمن قيامه بهذه الزيارة تتحدث مشروعيتها، وينطق استحبابها، وإذا كان ذلك التقدير لها واضحا وثابتا، والاستحباب قائما، فمشروعيتها له صلى الله عليه وسلم أروع تحققا، وأعظم ثبوتا، وأجل تقديرا من مشروعيتها لغيره للفارق العظيم بين المقامات، والبعد البالغ بين الدرجات، والقاعدة المتفق عليها بين العلماء أن وسيلة القربة المتفق عليها كذلك أي جهة إيصالها لها[11].

وهناك بعض الأئمة من احتج على مشروعية السفر للزيارة النبوية بحديث: "ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام"؛ حيث أن الأمة يسوقها شوقها ويدفعها حبها لزيارة رسولها، ومصدر سعادتها في الحياتين، إذا ما علمت أنه صلى الله عليه وسلم يشهدها إذا تشرفت بزيارة؛ ويراها إذا وقفت بين

يديه تحملت في سبيل ذلك كل ما يعترضها من عقبات، ويصادفها من صعوبات، وتلاقيه من مشاق في السفر، وعناء الانتقال طلبا للحظوة به صلى الله عليه وسلم والتماسا للرضى، وبلوغ المنى، وقضاء الحوائج، وغفران الذنوب، وفضلا عن هذا وذلك فإن في رد السلام على أمته بلا واسطة شرفا أي شرف، ونعمة كبرى إنما يسعى في تحصيلها المسلمون ويتبارى المحبون، ويهرع للفوز بها الزائرون[12]، ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾[13].

وفي تنافس الزائرين لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وسلامه عليه من أجل المراتب وطلبه ودعاؤه عنده -صلى الله عليه وسلم- تحصل للزائر جميع المآرب، لأنه صار في ذلك المحل الأفضل والموضع الذي خيره دائما ينهل، وجميع الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين يرتوون في هذا المنهل، واليم العظيم الذي مدده من رب الأرباب الكريم الذي لا ينحل[14].

فالمتشفع به وبجاهه وبركاته في حياته وبعد وفاته ينال الفضل الكبير، ويوم القيامة وعند الميزان والصراط والحساب وعند كل هولٍ مهول فهو -صلى الله عليه وسلم- يتشفع في كل الأحوال المتمثلة في[15]:

-الحال الأول: الذي قبل خلقه.

-الحال الثاني: الذي هو حال وجوده في الدنيا.

-الحل الثالث: في المآل وهو البرزخ.

-الحال الرابع: الذي هو في يوم القيامة.

3. المكان عند حسان بن ثابت

وإذا جئنا إلى تتبع شعر الشعراء الأوائل كحسان بن ثابت نجد أن الروح أو النزعة الدينية تظهر في مدائحه، وكذا لمن يقرأ مراثيه للرسول صلى الله عليه وسلم، وهي مراث مصبوغة بالصبغة الدينية يتكلم فيها الشاعر عن المنبر والمصلى والمسجد والوحي، ويذكر بكاء الأرض والسموات ويتشوق إلى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم في الفردوس، ويشير إلى ما ورثه عنه المسلمون من الرشد والهدى.

وله في ذلك قصائد ثلاث دالية تفيض بالمعاني الرقيقة السمحة، وتنم عن روحٍ ديني مصقول، وهي قصائد لينة من حيث النسيج، ويرى زكي مبارك أنها قد تكون من الشعر المنحول، فإنها لو أضيفت إلى رجل كالبوصيري لقبلت، لما يغلب عليها من الرقة واللين[16]، ولأن الرثاء إذا أضيف للرسول صلى الله عليه وسلم يصبح مدحا.

ومما ذكره حسان بن ثابت من الأماكن المقدسة في شعره قوله[17]:

بطيبة رسم للرسول ومعهد *** منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمَّحى الآيات من دار حرمة *** بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وباقي معالم *** وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها *** من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها *** أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده *** وقبرا بها واراه في الترب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت *** عيون ومثلاها من الجن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى *** لها محصيا نفسي فنفسي تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد *** فظلت لآلاء الرسول تعدد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها *** على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت *** بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا *** عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين *** عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة *** عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم *** وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه *** ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك *** رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم *** وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به *** وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا *** معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ***

استهل الشاعر حسان بن ثابت قصيدته المرثية بمقدمة طللية -على عادة العرب- في ذكر الرسول والديار والتشوق إلى معاهد الدعوة الإسلامية، إلا أنه يتنكب عن ذكر ذات الأصابع والجواء وديار بني الحساس، إلا "التشبيب بالراضي الحجازية والحضر اليثربية، أو في الشوق إلى حيرة هاتيك البلاد، أو في بث الأشجان، والتوجع من ألم البعاد[18].

يذكر الشاعر أماكن جديدة تبعق برائحة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وعن (طيبة، منبر، الهادي المسجد...)، وإذا كان الطلل في القصيدة الجاهلية يدرس ويمحي بتأثير عوامل الدهر، نلاحظ أن أطلال الشاعر في أبعادها الجديدة " لم تطمس" (ولا تنمحي الآيات من دار حرمة، بل لها من القوة والسر الإلهي ما تستطيع به الحياة والتجدد.

كما أن المنازل والديار التي مر منها الرسول صلى الله عليه وسلم تشرق بنور يعم أرجاءها ولا يفارقها مع مرور الزمن، كيف لا وهي متلألئة بأنوار المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وبهذه المقابلة التي عقدها الشاعر بين الأطلال القديمة والأطلال في صنيعتها الجديدة تأخذ بعدا جماليا متناسقا، حيث استحضرها الشاعر منذ أول بيت، وهو يصف الأولى بأنها: «تعفو وتهمد» بينما الثانية فهي: «منيرة»، لأنها (معارف لم تطمس على العهد آيّها) لا تنمحي.

وإذا كان الشاعر في نماذج الفحول الجاهلية يذرف الدموع على ديار المحبوبة، وهو يتذكر أيام الوصال ومشيها بين الأطلال، فإن المحبوب في هذه القصيدة هو الرسول صلى الله عليه وسلم، الممدوح الذي اخترق البناء الفني والجمالي للنص، وسما به أسلوب شوق وحنين الممدوح وقيمته الكبيرة.

فبعد أن يذكر الشاعر الأماكن التي حل بها يواصل البكاء على فراقه (افتقاده)[19]، إذ يقول حسان في ذلك وكله شوق وحنين لزيارة قبل الرسول صلى الله عليه وسلم:[20]

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

تهيل عليه الترب أيد وأعين عليه، وقد غارت بذلك أسعد

لقد جمعت هذه القصيدة قوة وإجرائية الطلل الجاهلي، إلى تجدد وصفاء الأماكن الإسلامية، ووصف ألم الفراق إلى شدة الولع بالمحبوب الذي لم يكن غير الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أغدق عليه في المقطع المدحي صفات الكرم والشجاعة والعدل والعفة إلى نور النبوة، وهداية الإسلام، وصدق الرسالة، فمنح الشاعر للقصيدة العربية حياة متجددة ونفسا آخر يتفق والتغييرات الجوهرية التي شهدتها البيئة العربية قبل الإسلام، لأن نجاح هذا النموذج الجديد كان رهينا بالتمسك بالأصول ثم تطويرها فيما بعد، والتجديد من داخلها بما يوافق الأخلاق الجديدة فأضاف إلى قوة البناء الفني للقصيدة الجاهلية صدق الشعور الإسلامي وسمو قيمته.

4. المكان عند أبي العتاهية:

ومن جهة أخرى بأسلوب التقريع والنقد اللاذع الذي عرف به الشاعر أبا العتاهية*، الذي وجه سهام نقده لفريقين، طالبا منهما نصرة محمد صلى الله عليه وسلم، مع ضرورة إتباعه، والسير على نهجه، وتوجيه المدح له دون سواه، ونجده أيضا يقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم راثيا، ومستحضرا شخصيته الكريمة، وكأن الرسول ارتقى إلى العلا في عهده، ويظهر الشاعر قدرا من العاطفة القوية، وهي عاطفة الحزن الشديد لفقد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويعتبر أبو العتاهية من الشعراء القلائل الذين رثو رسول الله بعد مرور قرنين من وفاته: وهذا يدل على مدى تأثر بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ويحمل ردا على أولئك الذين وصفوا أبا العتاهية بالزندقة، يقول[21]: (بحر الطويل)

سلام على قبر النبي محمد * نبي الهدى والمصطفى المؤيد**

نبـــي هدانا الله بعـــد ضلالـة * به لم تكن لولا هداه لتهتدي**

فكان رسول الله مفتاح رحمـــة * من الله أهداها لكل موحد**

وكان رسول الله أفضل من مشى * على الأرض إلا انه لم يخلد**

شهـــدت على أن لا نبـوة بعده * وأن ليس حي بعده بمخلد**

ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد زيارته للحرمين، ويركز على الصفات العظيمة والظاهرة التي تميز النبي صلى الله عليه وسلم، كما يركز على المكان لما يحمله من خصوصية؛ فبمجرد الزيارة هيجان للعاطفة وتخليد للذكرى التي تهيج البكاء والنحيب على قبر النبي الكريم، يقول[22]: (بحر الطويل)

لبيك رسـول الله مـن كان باكيـا * ولا تنسى قبرا بالمدينة ثاويا**

جزى الله عنا كـل خيـر محمـــدا * فقد كان مهديا دليلا هاديا**

ولن تسري الذكرى بما هـــو أهله * إذا كانت للبر المطهر ناسيا**

أتنسى رسول الله أفضل من مشى * وأثاره بالمسجدين كما هيا**

تكدر مـن بعـد النبـي محمـد * عليه سلام الله ما كان صافيا**

ونلحظ أن الشاعر في رثائه يركز على عبارة "أفضل من مشى" وما هذا إلا دليل على تعلقه بشخص النبي عليه الصلاة والسلام، ويختم مقطوعته بالسلام على النبي، وعلى هذا النسق -عموما- أخذ الشعراء يختمون مدائحهم فيما بعد.

ومع توالي النكبات على البلاد الإسلامية فيما بعد وابتعاد الناس عن الأمر الأول تفتقت الكثير من القرائح، وجاءت سيولا من الأشعار في المشرق، وكثر ناظموا البرد ممن حاول أن ينحو منحى كعب بن زهير اعتذارا مما آل إليه أمر الناس وامتداحا للمصلح الأول صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء البوصيري "في بردته

المشهورة وهمزيته اللتين كان لهما أبعد الأثر في الشعر والشعراء، وخاصة بردته التي ضمنوها وشطروها وخمسوها وسبعوها وعشروها، وعارضوها ..."[23].

5. **المكان عند الشعراء المغاربة**

لقد تأخر هذا الضرب من الشعر في بلاد المغرب ولم يعالج في قصائد كاملة إلا فيما ندر من المقطوعات التي تطرقت لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، طلبا للشفاعة، دون أن يكون ذلك غرضها الأول ولا موضوعها، ويرجع سبب ذلك لارتباط المدائح النبوية في المغرب بالتصوف إذ: "هو فن نشأ في البيئات الصوفية ولم يهتم به من غير المتصوفة إلا القليل"[24].

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين أضحى المديح النبوي بالمغرب الإسلامي موضوعا مستقلا، وغرضا قائما بذاته تخصص له القصائد، خاصة في الوضع السيئ الذي آلت إليه البلاد الأندلسية من جراء تساقط مدنها وهزائم الحكام المسلمين، فنظم الشعراء مديحا لجوءً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واستنجادا به كيف لا وهم أولى الناس بإظهار أحاسيسهم وإبداء عواطفهم، ولم يكن من بد أن يهرعوا إلى مدحه صلى الله عليه وسلم، إذ هو الملجأ الأمين الذي إليه تسكن النفوس وتطمئن القلوب، وكانت نتيجة ذلك ثروة ضخمة من القصائد يمكن تصنيفها إلى قسمين: أما القسم الأول: فهو امتداد للنمط المتقدم من المديح والذي اشتمل على ذكر مآثر النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته وشيمه وأخلاقه وكل ما يتصل بحياته -كما ذكر في الفصل الأول- وأما القسم الثاني: فقد ارتبط بالناحية الميتافيزيقية مما يتصور المتصوفة كالكلام عن (الحقيقة المحمدية)، و(النور المحمدي) وما يدخل في ذلك مما له علاقة بالتصوف[*].

أ-مدائح القسم الأول: يمكن أن ندرج ضمنها الأنواع التالية:

ب-قصيدة المدح النبوي العادية

تناول شعراء هذا النوع في خطابتهم الشعرية ذكر فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، ومكارمه وشيمه وصفاته، وإخراجه للناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وعليه جاء مديح ابن الجنان[**] (ت640هـ)[25]:

صلوا على الزاكي الكريم محمد *** ما مثله في المرسلين كريما
ذاك الذي حز المكارم فاغتدت *** قد نظمت في سلكه تنظيما
من كان أشجع من أسامة في الوغى *** ولدى الندى يحكي الحيا تجسيما
طلق المحيا ذو حياء زانه *** وسط الندى وزاده تعظيما
حكمت له بالفضل في كل حكيمة *** في الوحي جاء بها الكتاب حكيما
وبدت شواهد صدقه قد قسمت *** بدر الدجى لقسيمه تقسيما

ولأبي الحسن الجياني*** (ت663هـ) في التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأبيات[26]:

إن يكن ذنبي عظيما قد غدا *** عفوك الواسع منه أعظما
أثقلت ظهري ذنوب صحت من *** تحتها وا أسفا وا ألما
قرع الباب لها مسترحم *** لا يكن بابك عنه ميهما
إن حسبي في غد أن أغتدي *** لائذا بالمصطفى محترما
بشفيع المذنبين المرتجى *** في غد يشفع فيهم كرما

ج-قصيدة الحنين والشوق إلى المرابع النبوية

يعد هدا النوع من القصائد من أهم الأنواع المدحية لتي ذكرت وركزت على الأماكن النبوية المقدسة، لأن المداح في العادة يذكرون الأماكن المقدسة في مدائحهم للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنها مكان الوحي وموضع سكن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما جاء القرآن الكريم والسنة النبوية، بذكر فضل هذه المواضع عما سواها، ولذلك اقترنت مكة والمدينة وما جاروها بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الطبيعي أن يكون حبهما من حب الله رسوله.

كما اقترن ذكر قبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وفقده سمة كبير من السمات الدالة على تشوق وتلهف الشعراء له، وهذا ما توضحه الكثير من القصائد، ضف إلى ذلك ذكر المواطن التي ظهر فيها الحق وانتصر، وانتكس فيها حزب الشيطان وانهزامه، فهي معاهد قطعت فيها غصون الكفر، ورصت فيها أركان التوحيد، ونصرت النبوة فيها وعضدت أركانها، وبهذا نجد الكثير من الشعراء

وممن نحو منحى حسان بن ثابت يذكرون بعض أسماء تلك الأماكن إلى جانب ذكرهم لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم: كطيبة، والحطيم، وزمزم، سَلَمٍ (عند البوصري)، واللوى، ومنى، والحنف... وهذه الأماكن تحمل في طياتها شحنات روحية وتاريخية، تمنح النفس رحلة وجدانية إلى حيث الأحبة من خلال البعد المكاني، وتختصر البعد الزمني من الماضي إلى الحاضر ومن القصائد الرائعة التي نجد فيها ذكرًا لبعض الأماكن المقدسة، ما قاله أبي عبد الله محمد بن أبي بكر العطار الجزائري في كتابه "نظم الدرر في مدح سيد البشر" الذي أتمه بمدينة الجزائر سنة 696هـ[27]، الذي يذكر في قصيدته شوقه للنبي صلى الله عليه وسلم، ويثرب وما حولها من الأمصار التي عاش فيها صلى الله عليه وسلم، وهي تنم عن صدق الإخلاص، قائلا[28]:

أهدت لنـا طيب الروائح يثرب	***	فهبو بها عند التنسـم يطرب
رقت فرق من الصبابة والأسى	***	قلب نيـران البعـاد يعذب
شوقـا إلى أسنى نبي، حبـه	***	كنز لنجاة فنعم هـذا المطلب
لمصطفـى أعلي أبرية منصبا	***	فدجل في العليـاء والمنصب
فزنا به بين الأنـام بمديمة*	***	أبدا علينا بالأمـاني تسكب
حاز السيادة والكمال محمد	***	فإليه أشتات المحامد تنسب
محبوبنـا ونبينـا وشفيعنـا	***	يدنـي إلى روض الرضـا ويقرب
بضيائه الملتـاح أشـرق مشرق	***	وبنـوره الوضاح أعرب مغرب
وبه وردنـا الأمـن عذبا صافيا	***	وبرقـى فـي المعالـي يشجب
صبح الهـدى أنـواره بنبينـا	***	أضحت تروق الناظريـن وتعجب
إن طابت الأنفاس مـن زهـر الربا	***	رباه أذكى في النفوس وأطيب
صيرت أمـداح النبـي لمصطفى	***	لـي مذهبا يا نعم هـذا المذهب
فعلـي من أمـداح أحمد خلعة	***	موشيـة ولهـا طـراز مذهب
وبمدحه شمس الرضا طلعت على	***	أفقـي يضـيء ونورها لا يغرب
أترى يبشـرني البشير بقربـه	***	وأبث أشـواق الفـؤاد وأندب
ويقـال لي: بشراك قد بلت المنى	***	يـامغـربي إلـى منـى تتغـرب

هـــذا مقـــر الوحي هذا المصطفى *** هـــذا الـــذي أنـــواره لا تحجب
زد ورد طيبة واشف من ألم النوى *** قلبـا علـى جمـر الأسـى يتقلب
كـــم ذا التوانـــي عن زيارة مورد *** عذب المقـــام بـــه ولـــد المشرب
منَّـــا السلام على النبي (محمد) *** ما أسفرت شمس وأشرق كوكب

وهكذا فقد ظل الشوق إلى الروضة الشريفة يؤرق بال الكثير من الشعراء، ويزيد لهيب هذا الشوق كلما تقدمت بالمرء العمر، وضعف الجسد، واشتد به الوهن، وأحس بقرب الأجل، والشوق لرؤية سيد المرسلين، والطمع بالله عز وجل وما من سبيل إلى القرب إليهما إلا بتذكر المواطن الزكية التي داستها أقدام الحبيب المصطفى.

6. المكان عند الشاعر أبي بكر اليعمري الإشبيلي (ت 659هـ)* :

يعتبر أبو بكر اليعمري الإشبيلي من الشعراء الذين عبَّروا عن هذه المعاني العميقة التي تدل على المكان في قوله[29]:

أيـــا سائرا نحـو الحجـاز وقصـــده *** إلـى الكعبـــة البيت الحرام بلاغ
ومنـــه إلـى قبـــر النبـي محمـــد *** يكـــون لـــه بالروضتيـــن مـراغ
فبلغت مـــا أملت كـم ذا أراغـه *** أناس نسوا قصد السبيل فراغوا
وقـــوم أولـو وحد وجـد ونجـدة *** أراغهـــم الجـــد العثـــور فراعـوا
فيا أسفي كـــم ذا تمنيت قصـده *** فادفـــع عـــن قصـــدي لـــه وأراغ
وقصر لـــي جدي إذا الأمر في يدي *** جميـــع وعنـــدي ثـــروة وفـــراغ
فلآن وقد خط بي المشيب بمفرقي *** وكلـــل رأســـي مـــن حلى وصياغ
أعلل نفســـي بالمنـــى وتصدني *** ذنوب لهـــا عنـــد الفراق مصاغ
إذا ما أجلت الدهر فيه فكيف لي *** يســـوغ شراب أو يلـــذ مصـــاغ
عسى توبة قبـــل الممـــات وزوزة *** فينصح مـــن شين الذنوب رداغ
وألقى شيوخا يؤنس للمرء منهم *** أحاديث صدق تجتلي وتصـــاغ

ولأبي عبد الله بن محمد الكتاني الشاطبي (ت 699هـ)** في المعنى نفسه هذه الأبيات[30]:

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * وليس إلى قرب الحبيب سبيل**
حياة إله الخلق أحسن سيرة * فما الصبر على ذاك الجمال جميل**
متى يشتفي قلبي بشم ترابه * ويسمح دهر بالمزار بخيل**
دللت عليه في أوائل أسطري * فداك نبي المصطفى ورسول**

7. الرسائل الشعرية إلى قبر لرسول صلى الله عليه وسلم:

مما اعتاد عليه أهل المغرب من الأنماط الأدبية كتابة الرسائل الشعرية إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا أكثر الناس تداولا لبعد بلادهم عن الروضة الشريفة، وصعوبة الرحلة التي يقطعها الحجج المغاربة وما تعترضهم من صعوبات ومشاق لأجل وصولهم إلى تلك البقاع، فقد يعترضون في طريقهم صنوف من المعاناة من جراء بعد المسافة واللصوص من المحاربين من محترفي قطاع الطرق ممن كانوا يقطن بتخوم الحجاز، ويعلق ابن جبير* على ذلك قائلا: "وأكثر هذه الجهات الحجازية فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى، وهم يعتقدون في الحاج مالا يعتقد في أهل الذمة، وقد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها، ينتهبون انتهابا بأنواع المكوس، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابا، فالحاج منهم لا يزال في غرامة ومؤونة إلى أن ييسر الله رجوعه إلى وطنه"[31]، ومن هنا كان أهل المغرب يتهيبون من الرحلة إلى البقاع المقدسة، مع تحرق أفئدتهم إلى تلك الأماكن، فحاولوا أن يخففوا على أنفسهم عبر تلك الرسائل التي وجهوها إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقين لأنفسهم العنان في وصف أشواقهم وحنينهم ومحبتهم لصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام[32]، وممن كتب الرسائل أبو زيد الفازازي (ت627هـ) الذي يقول في مطلع رسالته[33]:

يا سيد الرسل المكين مكانه * ومقدما وهو الأخير زمانه**
والمصطفى المختار من هذا الورى * فمحله عالي المحل وشأنه**
ومن النبوة والطهارة والهدى * شرف حواه فؤاده ولسانه**
عنوان طرس الأنبياء وختمهم * والطرس يكمل حسنه عنوانه**

فالــدهر خلق أحمــد لصاحبــه * والخلـق جفــن أحمد إنسانه**

ثم يذكر مبرر كتابته لهده الرسالة ويطمع أن تحل محل الزيارة وشفيعه في ذلك حبه المتقد لصاحب النبوة عليه الصلاة والسلام[34]:

ناداك عبــد أخرتــه ذنوبـــه * والشــوق تلفــح قلبــه نيرانــه**

وفدت عليك ركاب أرباب التقى * والمذنب الخطــاء كف عنانــه**

لمــا تخلف للتخلف مذنبـــا * فـي المذنبيــن وغــره لمكانـــه**

كتب الكتـــاب لعله إذ لم يزر * باللحظ قبرك أن تـزور بنانــه**

ووراء أضلاعـــي فؤاد قيده * إلف الذنوب وسجنه أشجانه**

لكن حبــك شافــع ومشفــع * يغشــى محبك يمنــه وأمانــه**

ويختم رسالته بالسلام والتحية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[35]:

وعليك يا خير الأنام تحية * كالروض صافح روحه ريحانه**

ممن يزورك خطه وكلامه * إن لــم يزرك لذنبــه جثمانه**

ومع تقدم سن الشاعر أبو الحسن الجياني واجتماع نوائب الدهر عليه، مع حبه المتأجج لرسول لله صلى الله عليه وسلم، وشوقه لقبره نجده يشكو أحواله في هذه الرسالة الشعرية بلهجة صادقة متأججة بالعواطف والمشاعر قائلا[36]:

إنـي كتبت وفـــي فؤادي لوعــة * حشيت بحر جحيمها الأحشاء**

أبكـــي لفـرط شقــاوتي لـو أنــه * يدني الحبيب من المحب بكاء**

دمعـا متى أجريت وادي فيضــه * ذهبت بـه أنفاسي الصعـداء**

يـــا حسرتـا نائـــي الأحبة نازح * يرجـو للقـــاء وأين منه لقاء**

هامي الجفون مع البنان تمازجت * فـي وجنتــه أدمــع ودمـــاء**

أعشــى نواظـره البكـاء وصدعت * أكبـاده الأشـــواق والبرحـاء**

يـذري المدامـــع عابثا بالتراب لا * تشجيـه لا هنـد ولا أسمـــاء**

شوقـــا إلى قبر المصطفى ومحبة * في خير من طلعت عليـه ذكاء**

يـا فـــوز قـوم طيبـوا وجناتهـــم * بتراب طيبـة هـــم السُّعـداء**

مركزية المكان الحج والتشوق لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وما يمكن أن نقوله حول هذا النمط من الخطاب الشعري هو أنه "نوع متميز استقل به المغاربة عن نظرائهم المشارقة؛ وذلك رغبة في اختصار البعد المكاني بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وسكان المغرب الإسلامي، فقد كان أهل المغرب "من أرق الناس شوقا إلى زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن بعد المزار عزا قلوبهم بأقباس الحنين"[37]، فقد وجدوا في هذا النوع ملاذا للتعبير عن حبهم له صلى الله عليه وسلم، وصلتهم الروحية به، رغم نأي الديار وافتراق الأزمان، مع ما له من دلالة على البقاء على العهد والاعتذار والتوسل عن التقصير طمعا ورجاء شفاعته صلى الله عليه وسلم.

كما أنهم - أصحاب المدائح النبوية في الغرب الإسلامي - ما انفكوا أن اعترضوا في أشعارهم سبل مواكب الحجيج ويحملونها رسائل المودة والإجلال لشخص الرسول صلى لله عليه وسلم وعبارات التقدير ومعاني الشوق إلى مقامه توقا منهم إلى مد جسور التواصل وتدعيم وشائج القربى لحضرته صلى الله عليه وسلم[38].

ولم ينس الشعراء المتصوفة في المغرب العربي الاستعانة بمختلف الشعائر الدينية -ولعل موسم الحج من أبرزها- والتي تعد أول خطوة يخطوها الصوفي في ترقيه في المقامات الروحية الموصلة إلى الذات العلية.

وإذا كان المسلمون يحرصون على التمسك على الأعمال الظاهرة في العبادات باعتقادهم أنها من أعظم القربات إلى الله عز وجل، وذلك انطلاقا من اقتناعهم بأن الإيمان تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، فإن الصوفية قد اتخذت هذه الأعمال لديهم معاني ودلالات عميقة لا يتم إدراكها إلا بالذوق والكشف الصوفيين، ومن بين تلك الأعمال والمناسك التي يتقرب بها العبد من ربه، والتي من خلالها يعبر الشاعر الصوفي وغيره عن شوقه لحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقه لزيارة قبره الزكي هو منسك الحج، والذي هو واجب على المسلم العاقل البالغ القادر مرة واحدة في العمر، وفيه رحلة جسدية وروحية إلى المرابع النبوية، حيث البيت الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الشاعر الصوفي ابن عربي* الحج في شعره، إذ يقول[39]:

خليلي عوجا بالكثيب وعرجا * على لعلع واطلب مياه يلملم**
فإن بها من قد علمت ومن لهم * صيامي وحجي واعتماري وموسمي**
فلا انس يوما بالمحصب من منى * وبالمنخر الأعلى أمورا وزمزم**
محصبهم قلبي لرمي جمارهم * ومنحرهم نفسي ومشربهم دمي**

يخاطب الشاعر في هذه الأبيات عقله وإيمانه أن يعوجا بالكثيب الذي هو محل المشهد التي نص عليها الشرع، وعرجا قبل الوصول على لعلع حال دهش وحيرة وتولع لتقع الرؤية عن محبة وشوق، واطلب مياه يلملم جهة كائنة، أي رد على موطن الحياة إذ كان من الماء كل شيء حي.

والموسم كما ذكره الشاعر هو عبارة عن محل مكاني وزماني تجتمع فيه قبائل مختلفة لمقصد واحد، وبلغات مختلفة، حيث جعله تدل على معنى واحد، كذلك مقامات هذا العبد وأحواله والحقائق الإلهية إذا حصل القلب في محل الجمع كان ذلك موسمه وعيده، وإنما سمي موسما من حيث السمة أي أنه علامة تحصيل هذا المقام الجمعي[40].

وبذا فقد أصبحت الشعائر الدينية لدى المتصوفة رموزا وإشارات خاصة لا يمكن أن نحملها على حقيقتها الشرعية الظاهرة؛ لأنها صارت لا تدرك إلا بالذوق والكشف الصوفيين.

ويشير ابن عربي أيضا في ترجمانه إلى المعاني في قصيدة أخرى[41]:

لطيبة ظبي صارم * تجرد من طرفها الساحر**
وفي عرفات عرفت الذي * تريد، فلم أك بالصابر**
وليلة جمع جمعنا بها * كما جاء في المثل السائر**
يمين الفتاة يمين، فلا * تكن تطمئن إلى غادر**
مُنًى بمنى نلتها ليتها * تدوم إلى الزمن الآخر**
تولعت في لعلع بالتي * تريك سنا القمر الزاهر**

فالشاعر يقصد بقوله "لطيبة ظبي" هنا إنها مرتبة محمدية، أما عرفات فهو مقام الجمعية في باب المعرفة، وليلة الجمع ليس مقصود بها جمع الصلوات،

وإنما يقصد به شهوده مشهد الجمع؛ بحيث لا يرى في كل من هنالك سوى الله تعالى، وقد لا يحصل هذا الأمر في تقدير ابن عربي إلا بحصول الشُّكر الصوفي وما يسمى عندهم -الصوفية- بالغيبة[42].

و لأمكنة الحجاز حضور مكثف في شعر المغاربة خصوصا، وذلك لأن غالبهم قد سافر إلى تلك الأماكن وعاش بها فترة من حياته، إضافة ما تعنيه هذه المواضع من قيم روحية من كونها مهبط الوحي، ومنازل الأنبياء والمرسلين، فلا غرو إذن أن يحفل شعر هؤلاء بعدة أسماء منها: حاجز، العقيق، ونجد، وزورد، وغيرها، بالإضافة إلى طيبة التي أبدع الشعراء مغاربة كانوا أو مشارقة ومن هؤلاء نجد عفيف الدين التلمساني يذكر بعض الأماكن الحجازية، في قوله[43]:

وقف الهوى بين العقيق وحاجز * فجرى عقيق الدمع بين محاجري**

ومن ذلك قول الششتري*، أيضا[44]:

أرخ الأزمَّـــة وتبعهـــا إنهـــا * تـدري الحمـى النجدي مع من درى**

حث الركاب فقد بدت سلع لنا * وانزل يمين الشعب من وادي القرى**

واشتم ذاك الترب إذ مـا جئته * تلفيـه عنـد الشـم مسكـا إذ فـرا**

وممَّا استهوى الشعراء الصوفيون في بيئة الحجاز النباتات التي تنمو هناك من شجر الأراك والأيك وخمط وغيرها مما تردد عند الشعراء في عهد الإسلام وما قبله في الجاهلية، وقد ساهمت القدسية التي تحظى بها بيئة الحجاز في نفوسهم في انتشارها في أشعارهم، وللششتري في ذلك قول[45]:

فيا ساهيا دع عنك رملة عالج * ونجد ولا تندب أراكـا ولا خمطـا**

وكن قاصـدا للحق تحظ بنيله * ومن قصد الوهاب لا شك ن يعطى**

وأنشد العفيف التلمساني قولا آخر[46]:

وبـذي الأراك أراكـــة لجديـــة * يهفوا إليها كـــل قلب طائـــر**

تصل الظلال به الظلال، وتحتها * أصل لها جرة الحبيب الهاجر**

ولعل ما قاله ابن عربي[47]:

فقلت للريح: سيري وألحقي بهم * فإنهم عند ظل الأيك قطان**

وبلغيهم سلاما من أخي شجن * في قلبه من فراق القوم أشجان**

فذكر شجرة الأراك هي مساويك، يشير إلى مقام الطهارة ومرضاة الرب، حيث أن في معنى الحديث أن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرَّبِّ.

7.خاتمة:

وبشكل عام فإن الصوفية وغيرهم يقدسون كثيرا الأماكن الحجازية "كنجد" وما حوله ولاسيما أنه يضم البيت العتيق، بيت الله الذي بناه إبراهيم الخليل عليه السلام، وهم يرون أن الله أقرب ما يكون إلى عباده في هذا المكان المقدس، إذ شهد الفيض الإلهي المتمثل في الوحي المنزل على أنبيائه، على أنهم لا يقصدون في كل ذلك الأماكن بعينها، وإنما تظل تستخدم كرموز تعبر عن مقامات علية ومعارف روحانية، حيث يجد الشاعر الصوفي راحته النفسية – بزعمه - وسعادته الأبدية.

8. الهوامش والإحالات

[1]- ينظر: عمر بن قينة: رحلة ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص: 61.

[2]- ينظر: أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد الضياء المكي الحنفي: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحق: علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2004م، 1424هـ، ص: 01.

[3]- القاضي عياض، أبي الفضل عياض بن موسى ين عياض اليحصبي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تق وتحق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة-مصر، 2004م، 1425هـ، (د.ط)، 322/1.

[4]- أحمد بن محمد بن يونس الدجاني القشاشي، الدرة الثمينة فيما الزائر النبي إلى المدينة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2008م، ص ص: 12، 13.

[5]- القاضي عياض: المرجع السابق، 322/1.

[6]- سورة الأحزاب، الآية: 56.

[7]- القاضي عياض: المرجع السابق، 322/1.

[8]- محمد علوي المالكي الحسني، الزيارة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، مر: عطية مصطفى محمد حسين، دار جوامع الكلم، القاهرة-مصر، 1424هـ، (د.ط)، ص: 33.

[9]- سورة النور، الآية: 35.

[10]- سورة النور، الآية: 40.

[11]- محمد علوي المالكي الحسني، المرجع السابق، ص: 33.

[12]- محمد علوي المالكي الحسني، الزيارة النبوية، ص: 34.

[13]- سورة المطففين، الآية: 26.

[14]- ينظر: ابن حجر الهيثمي: تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار، تحق: السيد أبو عمر، دار الصحابة للتراث، طنطا-مصر، ط1، 1992م، 1412هـ، ص: 87.

[15]- للاستزادة: ابن حجر الهيثمي: تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار، ص: 88.

[16]- زكي مبارك، المدائح النبوية، ص: 41.

[17]- ديوان حسان بن ثابت، 455/1، 456.

[18] - عبد الفتاح شهيد، الاشتغال الجمالي للمعنى الأخلاقي، دراسته في شعرية المدائح النبوية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط: 01، 2015م-1436هـ، ص: 88.

[19] - عبد الفتاح شهيد، الاشتغال الجمالي، ص: 90.

[20] - الديوان، 455/1.

[*] أبو العتاهية: هو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد المعروف بأبي العتاهية، ولد بعين التمر، وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة، نشأ بالكوفة، وسكن ببغداد، ولد سنة ثلاثين ومائة، وتوفي يوم الاثنين لثمان أو ثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى عشر، وقيل ثلاث عشرة ومائتين ببغداد، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 222/1-225.

[21]- ينظر: طلال عبد الرحيم طلب أبو شيخة، المدائح النبوية في شعر الدولتين الزنكية والأيوبية وأثرها في العصور اللاحقة ، المشرف: حسن عبد الهادي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 1426هـ - 2005م ، ص: 116.

[22]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 116.

[23]- زكي مبارك، المدائح النبوية، ص: 200.

[24]- المرجع نفسه، ص: 17.

[*]وقد أفدنا في مكاشفة هذا العنصر من رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، بعنوان: الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين - دراسة موضوعاتية فنية - للطالب: أحمد عبيدلي: إشراف

الأستاذ الدكتور: محمد الأخضر الزاوي، جامعة الحاج لخضر باتنة-الجزائر، 2004-2005م، ص ص: 46-53.

** ابن الجنان: هو أبو الوليد ابن الجنان محمد بن المشرق أبي عمرو ابن الكاتب أبي بكر ابن العالم الجليل أبي العلاء ابن الجنان الكتاني الشاطبي، قال ابن سعيد: توارثوا بشاطبة مراتب تحسدها النجوم الثاقبة، وأبو الوليد أشعرهم، وقد تجدد به في أقطار المشرق مفخرهم، وهو معروف هناك بفخر الدين، ومتصدر أئمة النحويين، ومرتب في شعراء الملك الناصر صاحب الشام، توفى سنة 640هـ، ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحق: إحسان عباس، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008م، 120/2.

[25]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 122/2.

*** أبو الحسن الجياني: هو يحي بن الحكم البكري الجياني الملقب بالغزال لجماله، قال ابن حيان: كان الغزال حكيم الأندلس وشاعرها، وعرافها، عمر أربع وتسعين سنة، ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالأندلس: أولهم عبد الرحمن بن معاوية، وآخرهم الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم، ومن شعره:

أدركت بالمصر ملوكا أربعة *** وخامسا هذا الذي نحن معه، للاستزادة ينظر: نفح الطيب، 254/2، 255.

[26]- محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1995م، (د.ط)، مج5، 290/1.

[27]- النهاني: المجموعة النهانية، 438/1.

[28]- النهاني: المرجع نفسه، 438/1، 440. وينظر: محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص ص: 207، 208.

* المديمة: المطر الدائم الذي ليس فيه رعد ولا برق، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ديم)، ص: 337.

* محمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي أبذي الأصل أبو العباس، إمام في القراءات، كان راويا، حافظا بالحديث، عارفا برجاله وبأسمائهم، وبتاريخ وفاتهم، ومبلغ أعمارهم، ولي صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية، أخذ عنه وسمع منه، واقتدى به الكثير من الناس، استدعاه المستنصر بالله بالحاضرة الإفريقية، وقرب مثواه بتونس يوم الثلاثاء 23 جمادى الآخر سنة 659هـ، ومولده في حدود سنة 600هـ، ينظر: أبو عبد الله محمد عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، 365/1. وينظر: أبو العباس الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، 1910م، (د.ط)، ص: 290- 295.

[29]- الغبريني، عنوان الدراية، ص: 295.

** هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكتاني من أهل شاطبة ولد يوم 29 ذي القعدة سنة 614هـ/ 1217م، عالم بالقراءات، وله باع طويل في العربية كالنحو واللغة والأدب، استوطن ببجاية، وولي صلاة الفريضة والخطبة بجامعها الأعظم، واستجاز وأجاز، وروي وقرأ، واستمع واستنفع به خلق كثير وله رواية متسعة في الحديث وفي غيره، توفي سنة 693هـ/ 1297م، ينظر: أبو العباس الغبريني، عنوان الدراسة، ص: 79- 82.

[30]- ينظر: محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج6، 231/1، 232.

* ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكتاني صاحب الرحلة، أندلسي، شاطبي، بلنسي، مولده ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية أخذ عن أبيه القراءات، وعني بالأدب فبلغ الغاية فيه، وتقدم في صناعة

القريض والكتابة، توفي سنة 1041م. ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تع وتق: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:1، 1995م، 1415هـ، 138/3.

[31]- أبو الحسن ابن جبير: رحلة ابن جبير، ضبطه: محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة - مصر، (د.ط، د.ت)، ص:11.

[32]- أحمد عبدلي، الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين، ص: 52.

[33]- أحمد بن محمد المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحق: سعيد أحمد أعراب، ومحمد بن تاويت، طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 1980م، (د.ط)، 31/4، 32.

[34]- أحمد بن محمد المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحق: سعيد أحمد أعراب، ومحمد بن تاويت، طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 1980م،، 31/4، 32.

[35]- المرجع نفسه، 32/4.

[36]- محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السَّفر الخامس، 249/3.

[37]- زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت)،ص: 279.

[38]- محمد الأزهر باي: المديح النبوي في الغرب الإسلامي من القرن 5هـ/11م إلى 9هـ/15م، قراءة في المعاني والأساليب، مركز النشر الجامعي، كلية منوتة-المغرب، 2013م، ص: 288.

* ابن عربي: هو محي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد عبد الله الحاتمي، ولد بمرسيه يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة 560هـ، قرأ القرآن على أبي بكر بن خلف بإشبيلية بالسبع وبالكتاب الكافي وكان انتقاله من مرسيه لإشبيلية سنة 568هـ، فأقام بها سنة 598هـ، ثم ارتحل إلى المشرق، وأجاز جماعة منهم: الحافظ السلفي، وابن عساكر، وأبو الفرج الجوزي، ودخل مصر، وأقام بالحجاز مدة، ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم، ومات بدمشق سنة 638هـ، ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر بيع الآخر، ودفن بسفح قاسيون، ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تعليق وتقديم: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، 375/2.

[39]- ابن عربي: ترجمان الأشواق، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3، 2003م، 1424هـ، ص ص: 20، 21.

[40]- للاستزادة ينظر: ابن عربي: المرجع نفسه، ص ص: 20، 21.

[41]- ابن عربي: ترجمان الأشواق، ص: 193.

[42]- المرجع نفسه، ص: 193.

[43]- ديوان عفيف الدين التلمساني، تحقيق: العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية, بن عكنون-الجزائر, (د.ط، د.ت)، ص: 112.

* الششتري: هو أبو الحسن علي ابن عبد الله النميري الششتري، لقب بـ: عروس الفقهاء، وأمير المتجردين، وبركة لابسي الخرقة، وهو من قرية ششتر من عمل وادي آش، كان مجودا للقرآن الكريم، قائما عليه عارفا بمعانيه، من أهل العلم والعمل، ولقي المشايخ، وحج حجات، وآثر التجرد والعبادات، خدم أبا محمد بن سبعين، وكان دونه في السن، لكن اشتهر بإتباعه، صار يعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها بعبد ابن سبعين، وقال لما لقيه -يريد المشايخ-: "إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إليّ"، له العديد من المؤلفات وديوان

شعر مشهور، ولد سنة 610هـ، وتوفي يوم الثلاثاء 17 صفر 668هـ، ودفن بدمياط. ينظر: ديوان أبي الحسن الششتري: شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب، تحق: علي سامي النشار، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1960م، ص ص:06، 07، وينظر: المقري، نفح الطيب، 185/2، 187.

[44]- ديوان أبي الحسن الششتري، ص: 49.

[45]- الديوان، ص: 54.

[46]- ديوان عفيف الدين التلمساني، ص: 112.

[47]- ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص: 31.

9. قائمة المراجع

[1]. أحمد بن محمد المقري التلمساني، 1995م- 1415هـ ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تع وتق: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:1.

2. أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد الضياء المكي الحنفي، 2004م، 1424هـ ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحق: علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، ، ص: 01.

3. بن قينة عمر، 2012م ، رحلة ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

4. ديوان عفيف الدين التلمساني، تحقيق: العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية, بن عكنون-الجزائر، (د.ط، د.ت).

5. ديوان أبي الحسن الششتري،1960م، شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب، تحق: علي سامي النشار، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1.

6. الحسني محمد علوي المالكي ، 1424هـ ،الزيارة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، مر: عطية مصطفى محمد حسين، دار جوامع الكلم، القاهرة - مصر، (د.ط).

7. ابن حجر الهيثمي ، 1992م - 1412هـ،تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار، تحق: السيد أبو عمر، دار الصحابة للتراث، طنطا-مصر، ط1.

8. أبو الحسن ابن جبير، د.ت، رحلة ابن جبير، ضبطه: محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د.ط،).

9. الطمار محمد ، 1981م، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط).

10. مبارك زكي ، د.ت، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت-لبنان، (د.ط،).

11. ابن منظور محمد جمال الدين ،2005م، لسان العرب، طبعة جديدة ومحققة، دار صادر، بيروت- لبنان، ط: 04.

12. المقري التلمساني أحمد بن محمد ، 2008م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحق: إحسان عباس، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ج2.

13.--- --- --- --- ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحق: سعيد أحمد أعراب، ومحمد بن تاويت، طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 1980م.

14. المراكشي محمد بن عبد الملك ، 1995م ، الذيل والتكملة، تحق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ، (د.ط)، مج5، ج1

15. النهاني يوسف بن إسماعيل ، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت)

16. عبيدلي،أحمد 2004-2005م ، الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين -دراسة موضوعاتية

فنية- إشراف الأستاذ الدكتور: محمد الأخضر الزاوي، جامعة الحاج لخضر باتنة- الجزائر.

17. أبو عبد الله محمد عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، 2012م،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1.

18. أبو العباس الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله، 1910م، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، (د.ط).

19. ابن عربي محي الدين، 2003م، 1424هـ ، ترجمان الأشواق، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3.

20.القاضي عياض، أبي الفضل عياض بن موسى ين عياض اليحصبي، 2004م، 1425هـ ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تق وتحق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة-مصر، ،. (د.ط)، الجزء الأول.

21. القشاشي أحمد بن محمد بن يونس الدجاني ، 2008م ،الدرة الثمينة فيما الزائر النبي إلى المدينة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1.

22. شهيد عبد الفتاح ، 2015م-1436هـ ، الاشتغال الجمالي للمعنى الأخلاقي، دراسته في شعرية المدائح النبوية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط: 01.

23. أبو شيخة طلال عبد الرحيم طلب ، 1426هـ - 2005م ، المدائح النبوية في شعر الدولتين الزنكية و الأيوبية وأثرها في العصور اللاحقة ، المشرف: حسن عبد الهادي، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين.

24. ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي بكر،1419هـ، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحق: يوسف علي طويل، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، ج1.